



محاضرات مادة

تاريخ الأدب الجزائري المعاصر

المستوى: ماستر 2

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الإشراف: د. محمد بن
الجزيرة



المحاضرة الثالثة: محمد بن أبي شنب

تمهيد:

يعد محمد بن أبي شنب أحد أعلام الجزائر وعلمائها في العصر الحديث، أديب، ولغوي، ومفكر، ومحقق، ومستشرق، ومترجم، وأول حائز على درجة الدكتوراه في الجزائر، وهو من الرجال الأوائل الذين مهدوا للنهضة الأدبية والفكرية في الجزائر بفضل جهوده البحثية والتأليفية والتدريس في الجامعة. وصيته ذائع في الأقطار الغربية والعربية والمحلية.

1/ محمد بن أبي شنب (1869-1929) سيرة ومسيرة:

ولد محمد بن أبي شنب بفحص بالقرب من مدينة المديّة، تلقّى معارفه الأولى بمسقط رأسه، حيث حفظ شيئاً من القرآن الكريم، وتعلّم اللغة العربية والفرنسية، وواصل تعليمه الإعدادي والثانوي، لينتقل بعد ذلك إلى الجزائر العاصمة حيث شغل مناصب كثيرة في التعليم الفرنسي أولاً ثم في التعليم العربي ثانياً، عُيّن أستاذاً للغة والآداب العربية بمدرسة قسنطينة، ثم بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، وأخيراً بكلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1924، إلى حين وافته المنية سنة 1929. وقد جمع إلى مكانته العلمية أصالته العربية الإسلامية، حيث حافظ على نمط اللباس الجزائري الأصيل، من عمامة وسروال عريض وزُّنار كان يحترم به، على الرغم من "عمله في محيط فرنسي، وبرعاية فرنسا نفسها لبعض جهوده العلمية طبعاً ونشراً، وتقديرها لكفاءته التي جعلته يشق طريقه بعصاميّة فذّة من معلم ابتدائي بسيط في قرية إلى أستاذ جامعي قدير، في (جامعة الجزائر) أعرق جامعة في (إفريقيا) كلّها".

كان موضوع أطروحته، التي أعدها سنة 1920، بعنوان (أبو دلالة حياته وشعره) باللغة الفرنسية، وأتبعها ببحث عنوانه (الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في اللغة الجزائرية)، نشرها سنة 1922، وقد كان يحسن إلى جانب اللغة العربية والفرنسية عدّة لغات

منها: الفارسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والتركية واللاتينية والعبرية، وابن شنب يعد أول باحث جزائري اهتم باللغات والترجمة والانفتاح على آداب الشعوب الأخرى وبيان أبعاد التأثير والتأثر، وهذا الأخير يعدّ أحد أهم مباحث الأدب المقارن، فقد نشر سنة 1919، في المجلة الإفريقية، دراسة بعنوان (الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتيه). وقد دفع به نشاطه البحثي والعلمي إلى الانتقال المستمر عبر البلدان للبحث والمشاركة في المؤتمرات، ومن ثم تعرّف على كثير من العلماء والباحثين في مختلف الأقطار العربية والأوروبية، "انتُخبَ عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1920، وعضواً في المجمع العلمي الاستعماري بباريس سنة 1924، مثّل الجزائر في عدّة مؤتمرات منها مؤتمر المستشرقين في الرباط سنة 1928، ومؤتمر المستشرقين في مدينة أكسفورد، وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين، وشهدتْ بفضلِه الأعلام، وراسله الكتاب والأدباء، منهم كراتشكوفسكي وأحمد تيمور باشا"، فضلاً عن طه حسين الذي التقاه بمؤتمر أكسفورد، والعالم التونسي حسن حسني عبد الوهاب، والمفكر والأديب السوري محمد كرد علي الذي قال عن ابن أبي شنب لَمّا التقاه في مؤتمر أكسفورد البريطاني: "شهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين وهو في لباسه الوطني: عمامة صفراء ضخمة، وزنار عريض، وسراويل مسترسلة، ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالماً من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافة إسلامية، أو عالماً من علماء السلف جمع الله له بلاغة القلم وبلاغة اللسان ووفر له قسطاً من العلم والبصيرة، وقد فطر على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل، وقيض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ ويفصح في كل لغة بمعانيها".

2/ مؤلفاته وآثاره:

ألّف محمد بن أبي شنب عدداً كبيراً من الكتب: تأليفاً، وتحقيقاً، وشرحاً، وترجمة.. ونشر عشرات المقالات في مجلات مرموقة، وخلف كثيراً من الكتب المخطوطة، والمقالات غير المنشورة.

فمن مؤلفاته:

- تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب 1906 و 1928.
- شرح لمثلثات قطرب 1906.
- أبو دلالة وشعره وأصله أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه 1922.
- الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب 3 أجزاء 1907.
- الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر (لم يطبع).
- فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909.
- معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب ونقدها 1922.
- خرائد العقود في فرائد القيود 1909.
- مجموع الفوائد من منظوم المثلثات والقيود والشوارد 1909.
- المثلثات عند العرب (بالفرنسية) 1927.

ومن الكتب التي عني بتحقيقها:

- (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني) عام 1908.
- (رحلة الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار) 1908.
- (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد الغبريني) 1910م.
- (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) 1920.
- (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية) .
- (طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار)، وهو من تأليف الشيخ محمد العربي المشرقي الغريسي.
- (وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي) مع التعليق.
- (طبقات علماء إفريقية) لأبي العرب. جزءان 1915، 1920.
- (طبقات علماء إفريقية) لمحمد بن الحارث الخشني.
- (شرح ديوان علقمة) للأعلم الشنتمري 1925.
- (شرح ديوان عروة بن الورد) لابن السكيت 1926.

- (شرح شواهد جمل الزجاجي) في النحو 1927.
- (تحرير الموشين في التعبير بالسين والشين) للفيروز أبادي، مع التعليق 1927.
- (تدميث التذكير في التأنيث والتذكير) منظومة لبرهان الدين الجعبري 1911.
- (شرح الشنتمري لشعر امرئ القيس).
- (شرح ديوان عبد يغوث).

وله تحقيقات كتب كثيرة لم تنشر، ودواوين شعر شرحها وقدم لها، وترجمات كتب نقلها إلى الفرنسية. ومقالات كثيرة، حيث "نشر ابن أبي شنب أربعة وستين بحثاً في دائرة المعارف الإسلامية، وخمسة وسبعين دراسة أغلبها باللغة الفرنسية، صدر معظمها في دوريات فرنسية مختلفة كالمجلة الفرنسية الصادرة عن "الجمعية التاريخية الحربية". كما عين عضواً في "الجمعية الآسيوية" سنة 1906 ونشر فيها عدّة بحوث، وكتب في "المجلة الإفريقية" الكثير من الدراسات التي ترجم معظمها ونشر في مجلة "الشهاب" الصادرة عن الحركة الإصلاحية الجزائرية". فضلاً عن الكتب الجماعية، ومحاضرات الملتقيات التي شارك فيها.

3/ أدبه:

عرف عن محمد بن أبي شنب نهجه العلمي الأكاديمي، وهو نهج يقتضي الدقة في التعبير، والتسلسل المنطقي للأفكار، واستعمال المصطلح الدقيق، واتباع المنهج المناسب للبحث.. أمّا إذا ما التفتنا إلى رسائله وبعض مقدمات كتبه، فإننا نلمس إيلاعا بالزخرف اللفظي والأسجاع. من ذلك قوله في رسالة إلى أحد أصدقائه:

"إلى عين النسب، ورأس الأدب، في اللسان الإفرنجي والعربي، الأثيل النبيل سيدي أبي الليل محمد العربي، رعاكم إلهنا المولى، وأولاكم من المعروف ما أنتم به أولى، وبعد السلام الذي طابت نفحاته، وطالت غدواته وروحاته، والرحمة والبركة ما هزّ ذكركم ساكن القلب وحرّكه.

فقد وافاني كتابكم أعزكم الله متضمّناً صحّتكم وعافيتكم، أدام المولى سعادتكم وسرمد مجاديتكم، ولقد سرّ بها القلب وارتاح، وغدا في أسواق الطرب وراح.

هذا وقد تلا الشرور السرور، حيث دهاكم الحرور والحرور، واشتعلت الجبال، وارتكمت الأهوال، فتغيّر لذلك لُبّي، وسلّمت لقضاء ربّي، أبدل المولى الضير بالخير والسموم بالهير...".

وله في الشعر نصيب، الملحون والفصيح، غير أنّه لا يرقى إلى مستوى الفحول والخناذيد. ومفهوم الشعر عنده لا يشذّ عن المفهوم السائد التقليدي الموروث منذ عهد قدامة بن جعفر، حيث يعرفه في كتابه (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب) بقوله: "الشعر هو الكلام الموزون قصداً بوزن عربي".

من قصائده قصيدة يستنهض فيها الأمة للأخذ بالعلم والانتفاع بمنافعه، إذ هي السبيل لنيل المجد والسؤدد، يقول:

أقيموا بني عمّي برقي المشارف	وجدّوا وكدّوا في اكتساب المعارف
فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم	ولم يبق إلا كلّ غمرٍ وخالف
خَلَّتْ أربُعُ العِرفانِ واستوطنَ البلى	وعَفَّ غرابُ الجهلِ حقاً بشارفِ
فيا وحشتا من طالبٍ ومُدّرّسٍ	ومنشِدِ أشعارِ واروي اللّطائفِ
ألم تتظّروا يوماً إلى ما هوى بكم	وكان نبي الأُخيارِ أقصى المخاوفِ
ألم تتظّروا يوماً إلى ما أتى به	بعاد وجيران وكلّ مخالفِ
ألم تعلموا أنّ العلـومَ رفيقةٌ	لكلّ غريب عند بعد المآلفِ
وصاحبها تكسوه نورا ورفعةٌ	وفخرا وظفرا بالعدوّ وشانفِ
تعالوا إلى مجدٍ وفضلٍ وسؤددٍ	وخيرٍ وإحسانٍ وعِزٍّ وطارفِ

وموضوع الحثّ على العلم ونبذ الجهل هو الموضوع الأثير لدى مشايخ الجزائر وعلمائها وشعرائها، وبخاصة لدى رجال الحركة الإصلاحية منذ عشرينيات القرن الماضي،

وذلك بفعل السياسة الاستدمارية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي؛ حيث عمل جاهدا على التجهيل وطمس هوية الشعب بغية إخضاعه ومن ثم إذعانه، غير أنّ رجال الجزائر المخلصين تصدّوا لهذا المخطط بكفاءة عالية ومخطط مضادّ مدروس، وهذا بعض ما سنتناوله في المحاضرة القادمة.

جامعة الزيتونة